سلسلة رسائل الفضيلة

(٧)



تأليف
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله الكريم بمحامده الَّذي هو لها أهلٌ، وأُثني عليه الخير كلَّه، لا أُحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه.

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، ملء سمواته وملء أرضه، وملء ما شاء من شيء بعد.

أحمدُه على نعمه الكثيرة، وآلائه الوفيرة، وعطاياه الجمَّة، له الحمد كلُّه، وله الفضل كلُّه، وإليه يَرجع الأمرُ كلُّه.

الحمد لله الَّذي له ما في السَّموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيم الخبير: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢].

الحمد لله ربِّ العالمين، الرَّحمن الرَّحيم، مَالِك يوم

الدِّين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، إله الأوَّلين والآخرين، وقيُّوم السَّموات والأرضين، وخالق الخلق أجمعين، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، وأمينُه على وحيه، ومبلِّغ النَّاس شرعه، فصلواتُ الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد:

إنَّ موضوعَ «**ذكر الله عزَّ وجلَّ**» يتعلَّق بأهمِّ الأمور وأعظمها وأجلِّها وأولاها بالعناية والاهتمام.

فهو يتعلَّق بـ«ذكر الله العظيم»، ذكر ربِّ السَّموات والأرض وربِّ العالمين، ذكر خالق الخَلق، وموجِد النَّاس أجمعين، ذكرِ الله جلَّ شأنُه وعظم سُلطانه وتبارك اسمه، ذكر: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣ـ٢٤].

إنَّ ذِكْرَ الله ـ جلَّ وعلا ـ هو خيرُ ما صُرفتْ فيه الأوقات، وأُزهقت فيه الأنفاسُ، وأُمْضِيت فيه السَّاعات.

ذكرُ الله ـ جلَّ وعلا ـ تطمئنُّ به قلوب المؤمنين، وتسكُن نفوسُهم، ويعظُم يقينُهم، ويزدادُ إيمانُهم.

ذكرُ الله ـ جلَّ وعلا ـ هو عنوانُ السَّعادة، وسبيلُ الفلاح في الدُّنيا والآخرة، بل إنَّ كلَّ خيرٍ وسعادةٍ وأُنسٍ وراحةٍ وطُمأنينةٍ في الدُّنيا والآخرة متوقِّفٌ على تحقيق ذِكر الله ـ جلَّ وعلا ـ، بل إنَّ الشَّرائع كلَّها والطَّاعات جميعَها إنَّما شُرعت لإقامة ذكر الله.

فما شَرَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لعباده من صلاة، وصيام، وحجٍّ، وغير ذلك من الطَّاعات إلَّا لإقامة ذكرِ الله؛ ولهذا ثبتَ في الحديث عَن رَسُولِ الله ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: أَيُّ الجِهَادِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «**أَكْثَرُهُمْ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا**» قَالَ: فَأَيُّ الصَّائِمِينَ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «**أَكْثَرُهُمْ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى**

ذِكْرًا»، ثُمَّ ذَكَرَ لَنَا الصَّلاَةَ، وَالزَّكَاةَ، وَالحَجَّ، وَالصَّدَقَةَ كُلُّ ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَكْثَرُهُمْ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: يَا أَبَا حَفْصٍ ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَجَلْ**»[1].

فالذَّاكرون هم الحَقِيقُون بالأجور العظيمة، والدَّرجات الرَّفيعة، والمنازل العالية في الجنَّة.

ذِكْرُ الله هو روحُ القلوب وحياتُها، وسببُ نمائها وقوَّتها، ويترتَّب عليه من الأجور العظيمة والخيراتِ العميمة في الدُّنيا والآخرة ما لا يحصي عدَّهُ إلَّا اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ.

ولهذا؛ فإنَّ موضوع ذكر الله تعالى هو من أهمِّ الموضوعات وأَوْلاها بالعناية والاهتمام.

وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ**

(١) رواه أحمد (١٥٦١٤)، والطَّبراني في «الدُّعاء» (١٨٨٧)، وفيه زبان بن فائد وهو ضعيف، لكن له شاهد مرسل صحيح رواه ابن المبارك في «الزُّهد» (١٤٢٩).

رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ» خرَّجه الإمام أحمد وغيره، وهو حديث صحيح ثابت[1].

وله سببٌ: وهو أنَّ رجلًا كما قال عبد الله بن بُسر رضي الله عنه ـ راوي الحديث ـ أتى النَّبيَّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ وقال له: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ» وفي لفظ: «إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟»

هكذا طلبَ مِنَ النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، قال: «شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ»، أي تعدَّدتْ عليَّ؛ فأريدُ بابًا من الخير جامعًا أتمسَّك به، فقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**»، فهذا السَّائل كان يريد بابًا جامعًا من الخير يتمسَّك به، فأرشده النَّاصح الأمين ـ عليه

(١) «المسند» (١٧٦٩٨)، وأخرجه التِّرمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، والحاكم (١/ ٦٧٢) وصحَّحه من حديث عبد الله ابن بُسر رضي الله عنه؛ وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٠٠): صحيح.

الصَّلاة والسَّلام ـ إلى ذكر الله ـ جلَّ وعلا ـ.

وهنا تأمَّل ـ أيُّها القارئ ـ توجيهَ النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ لهذا الَّذي كَثُرَت عليه شرائع الإسلام وتعدَّدت وتنوَّعت، فأراد أمرًا جامعًا يتمسَّكُ به، تتحقَّقُ به سعادته، فيحصِّل به خيرَيْ الدُّنيا والآخرة، فأرشدَه ﷺ إلى عملٍ هو مِنْ أيسر الأعمال مَؤُونَةً وأخفِّها تطبيقًا، ويتَّرتب عليه من الأجور العظيمةِ والخيراتِ الكثيرةِ ما لا يترتَّب على سواه.

وأهلُ العلم يقولون: إنَّ الذِّكر وإنْ كَثُرَ وتعدَّد فهو مِن أخفِّ الأعمال وأيسَرها، ولا يتطلَّب من صاحبه مجهودًا كبيرًا؛ لأنَّ حركة اللِّسان بذكر الرَّحمن ـ جلَّ وعلا ـ لا تشقُّ على الإنسان ولا تكلِّفه، ولا يحصل له بسببها تَعَبٌ وجهدٌ، بل يحصُل له مع ذلك الطُّمأنينة والرَّاحة وسُكون القلب، ويتحقَّق له بذلك أسباب السَّعادة.

عملُ اللِّسان عندما يُقارن بأعمال الجوارح كالصَّلاة،

والمشي إلى المساجد، والوضوء، والحجِّ، والصِّيام وغير ذلك، هذه الأعمال ربَّما يكون فيها بعض المشقَّة، وقد تكون ـ أيضًا ـ المشقَّة نسبيَّة من شخصٍ لآخر.

أمَّا ذكرُ الله ـ جلَّ وعلا ـ فللنَّاس كلِّهم؛ الصَّغير والكبير، والصَّحيح والمريض، والذَّكر والأنثى، لا يكلِّفه شيئًا، ويستطيع الإنسانُ أن يُحَرِّكَ لسانَه بهذا الخير مسبِّحًا لله، حامدًا لله، ذاكرًا لله، مُثْنِيًا على الله، فلا يحصل له مشقَّةٌ وتعبٌ، ويكسب أجورًا عظيمةً وخيراتٍ عظيمةٍ في الدُّنيا والآخرة، لا يحصيها إلَّا الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

ولهذا قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ كما في «الصَّحيحين»[1] قال: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ**»، لاحظْ أوَّل ما بدأ، قال: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ**»، أرشد إلى خفَّة العمل

(١) البخاري (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، و٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويُسره وسُهولته، وأنَّه لا يكلِّف صاحبه تعبًا أو مشقَّةً، لكن ماذا قال؟ «**ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلى الرَّحْمَنِ**»، وزنُه عند الله عظيمٌ، فهي كلمةٌ سهلةٌ وجميلةٌ، وعذبةٌ في اللِّسان لكنَّها ثقيلةٌ في الميزان، حبيبةٌ إلى الرَّحمن ـ سبحانه وتعالى ـ، وقال ﷺ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»(١).

ذكرُ الله خفيفٌ على لسانِ مَنْ أعانَه الله وأمدَّه ـ تبارك وتعالى ـ بتوفيقِه.

أمَّا من خذلَه الله ـ والعياذ بالله ـ فإنَّ ذكر الله يشقُّ عليه ويصعب، ولا يستطيع أن يذكُر اللهَ، بل يجد في ذلك مشقَّةً وتعبًا، وربَّما تبرَّم وحصل له مللٌ وسآمةٌ من الذِّكر، وهذا من علامةِ الخِذلان، ودليل الحِرمان ـ والعياذ بالله ـ.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٨٧٣)، والتِّرمذي (٣٤٦٦)، وابن ماجة (٣٨١٢) من حديث أبي هريرة ﵁؛ قال التِّرمذي: حسن صحيح.

ذكرُ الله خفيفٌ على اللِّسان، ولهذا أرشد النَّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ هذا السَّائل قال: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا**».

فحثَّه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ على العناية بالذِّكر، وفي هذا دلالةٌ على عِظم شأن الذِّكر وعِظم مكانتِه عند الله ـ جلَّ وعلا ـ، وأنَّه بابٌ جامعٌ من الخير، ينبَغي على كلِّ مسلمٍ أن يتمسَّك به، وأن يتشبَّثَ به، وأن يكونَ من أهله.

وإذا ضَمَمْنا إلى هذا الحديث العظيم أحاديثَ النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ الأُخرى ونصوصَ القرآن الكريم الَّتي فيها الحثُّ على الذِّكر وتفضيله وبيان عظيم أجره وما أعدَّه الله ـ تبارك وتعالى ـ للذَّاكرين، وما يترتَّب على الذِّكر من الفوائد العظيمة، والثَّمرات الكريمة، والخيرات الجزيلة في الدُّنيا والآخرة؛ لوجَدنا من النُّصوص الشَّيءَ الكثير الَّذي يدلُّ على عِظَم شأن هذه الطَّاعة، وجلالة قدرها، ورفيع مكانتها عند الله ـ تبارك وتعالى ـ.

وللإمام العلَّامة ابن قيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب رسالة فريدة، لم يُكتَب ـ فيما أعلمُ ـ على منوالها مثلُها، رسالةٌ عظيمةٌ جدًّا منتشرة بين أهل العلم وطلبة العلم أسماها رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوابل الصَّيِّب في الكَلِم الطَّيِّب»، و«الوابل الصَّيِّب» هو المطر النَّافع.

قال في هذه الرِّسالة: «وفي الذِّكر أكثرُ من مائةِ فائدةٍ»، ثمَّ شرع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عدِّ فوائد الذِّكر وثمراتِه في الدُّنيا والآخرة، وعدَّ من فوائدِ الذِّكر وثمراتِه ما يزيد على السَّبعين فائدة، كلُّ واحدةٍ منها كافيةٌ في تحريك القلوب وتنشيط النُّفوس للقيام بهذه الطَّاعةِ العظيمةِ، فكيفَ بها إذا اجتمعت؟! ولهذا قلَّ أن يقرَأ هذا الكتابَ مسلمٌ قراءةً متأنِّيةً طالبًا للنَّفعِ والفائدةِ إلَّا وتحسُن حاله ـ بإذن الله ـ في ذكره لله جلَّ وعلا، ويزيدُ عنايةً بهذا الباب.

وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا عدَّد فوائد الذِّكر وبسَطها وأطال في

إيضاحها وبيانِها، فلمَّا انتهى من ذلك؛ عقدَ فصولًا في أنواع الذِّكر الَّتي ينبَغي أن يكونَ عليها المسلم، فما أن ينتهيَ المسلمُ من هذه الدَّفعة القويَّة ـ إن صحَّ التَّعبير ـ للقيام بذكر الله؛ إلَّا ويجد أمامه بسطٌ آخر لأنواع الذِّكر الَّتي دلَّ عليها كتابُ الله وسنَّةُ نبيِّه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، ولهذا أرى أنَّ هذا الكتاب ينبغي أن يعتنيَ به كلُّ مسلمٍ؛ الأب يعتني بشِراء هذا الكتاب وإهدائه لأولاده وأهله في بيته ويحثُّهم على قراءتِه، وطالبُ العلمِ يحرصُ ـ أيضًا ـ على اقتنائِه ويستفيدُ منه، ويُتداول بين المسلمين لعِظم نفعه وكِبَرِ فائدته.

وفي هذه الرِّسالة ألخِّص شَيْئًا قليلًا من فوائد الذِّكر، من خلال ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ إضافةً للفوائد الَّتي سبق الإشارةُ إليها في أوَّل هذه الكلمة.

* فمن فوائد الذِّكر أنَّه حياةُ القلوبِ حقيقةً وبدونه

يموت القلب، ولهذا ثبت في «الصَّحيح»[1] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ والَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ**»، وفي لفظ آخر للحديث قال: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ فِيهِ اللهُ، والبَيْتُ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّت**»[2].

فجعل ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ الذَّاكر لله مثل الحيِّ، وبيوت الذَّاكرين مثل بيوت الأحياء، وجعل ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ مَثَل الَّذي لا يذكر الله مثل الميِّت، وبيوت الَّذين لا يذكرون الله مثل بيوت الأموات، وهي المقابر؛ ولهذا قال في حديث آخر: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ**»[3] يعني اذكروا الله في بيوتكم وأقيموا الصَّلاة في بيوتكم، واتلُوا كلامَ الله في بيوتكم؛ لأنَّ البيت إذا لم يُتلَ فيه كلامُ الله، ولم يُذكرْ فيه الله، ولم تُقَم فيه الصَّلاة؛ يكون مثل المقبرة الَّتي هي بيت الأموات.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٧٧٩).
(٣) أخرجه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولهذا حثَّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ على صلاة النَّافلة في البيت فقال: «**إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ المرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المكْتُوبَةَ**»[1]، لئلَّا يكون البيتُ مقبرةً، البيت الَّذي لا يُذكر فيه الله ـ جلَّ وعلا ـ، ولا يُصلَّى فيه، ولا يُحمَد فيه الله ـ سبحانه تعالى ـ؛ فهو مثل المقبرة ـ بيت الأموات ـ.

فكيف إذا كان البيتُ لا يُذكر فيه إلَّا الشَّيطان؟! ولا يُسمع فيه إلَّا اللَّهو والمعازف؟! ولا يُذكر فيه اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ؟!

وإنَّما هو معمورٌ بآلات اللَّهو وأدواتِ الفسادِ وسماعِ الباطلِ ونحو ذلك، هذا بيتٌ ميِّت، بل هو خرابٌ تَبَاب ـ والعياذ بالله ـ، والبيتُ الخراب لا يَرِد إليه ولا يدخله إلَّا الشَّياطين، أمَّا الملائكة لن تدخلَه، وإنَّما تتوارَد عليه الشَّياطين، ويكون مأوًى لها؛ فيذهب الخيرُ من البيت،

(١) أخرجه البخاري (٧٣١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

ويكثر فيه الشَّرُّ، وتتوالى عليه المشاكل، وتكثُر فيه المصائبُ، ويقع فيه أنواعٌ من الفساد ـ والعياذ بالله ـ.

والله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف]، ولهذا يجب على أهل البيوتِ المؤمنةِ أن ينصَحوا لأنفسِهم، ولبيوتهم؛ فيعمُروها بذكر الله ـ جلَّ وعلا ـ، بتلاوة القرآن، وبإقامة الصَّلاة، وفعلِ الخيراتِ حتَّى يكونَ بيتُهم من بيوت الأحياء، وحتَّى يكونوا هم أحياءً في بيوت الأحياء.

فذكرُ الله ـ جلَّ وعلا ـ هو حياةُ القلوب حقيقةً، وبدونه يموت القلب.

بل نقل ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ عن شيخه ـ شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ ـ تشبيهًا عجيبًا للذِّكر، ولحال القلب مع الذِّكر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «الذِّكر للقلب مِثل الماء

للسَّمك؛ فكيفَ يكون حالُ السَّمك إذا فارق الماء؟»[1]، ومعلومٌ أنَّ السَّمكة إذا أُخرجَت من الماء لِلَحظاتٍ تموت، والقلب إذا أُبعد عن الذِّكر ولم يعمر بذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ يموت، ولا تحصُل له الحياة، ولا تنمو فيه الحياة إلَّا بذكر الله، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وسمَّى ـ تبارك وتعالى ـ في مواطن عديدة من القرآن الوحيَ روحًا؛ كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [سورة النحل]، كذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

وسمَّى الله ـ تبارك وتعالى ـ مَن ينزلُ بالوحي، وهو

---

(١) «الوابل الصَّيِّب» (ص: ٨٥).

جبريلُ روحًا؛ قال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ].

فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ الَّذي ينزلُ بالوحي ـ روحٌ، والوحيِ نفسُه روحٌ؛ لأنَّ حياةَ القلوب لا تكون إلَّا بالوحيِ وذِكْرِ الله ـ تبارك وتعالى ـ، وبدونه تموت، وتَقْسُو وتُظْلِم، وتَعْمُر بالشَّرِّ والفسادِ ـ والعياذ بالله ـ.

فإذا وصَلَها الوحيُ وعَمُرَتْ بذكر الله ـ جلَّ وعلا ـ وكثُر فيها الذِّكر؛ تنامى فيها الخير وتزايَد فيها الصَّلاح وعمَّ فيها النَّفعُ والبركةُ، فهذه فائدةٌ عظيمةٌ من فوائد الذِّكر.

❋ ❋ ❋

❋ ومن فوائد الذِّكر أنَّه يطرُدُ الشَّيطانَ، ويُبعده عن الإنسان، ويكون المؤمن بذكرِهِ لله ـ تبارك وتعالى ـ في حصنٍ حصينٍ وحرزٍ مكينٍ، لا يجد الشَّيطان إليه سبيلًا.

جاء في الحديث الَّذي خرَّجه الإمام أحمد في «المسند»

وغيرُه بإسناد صحيح عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بنَ زَكَرِيا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يعْمَلُوا بهِنَّ**»، وفي الحديث أنَّ زكريا قال لقومه: «**إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ وَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَكُمْ بِهِنَّ**»، ثمَّ ذكر الأمر أوَّلًا بالتَّوحيد، والأمر بالصَّلاة، والأمر بالصَّدقة، ثمَّ ذكر الأمر الخامس: هو الأمر بذكر الله، فقال: «**وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ**، ـ يعني لحقَهُ العدوُّ لقتله وللبطش به ـ **فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ العَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

فالَّذي يذكر الله في حصنٍ حصين وحِرْزٍ مكين، لا يصلُ إليه الشَّيطان ولا يخلص إليه أبدًا.

---

(١) «المسند» (١٧١٧٠)، وأخرجه التِّرمذي (٢٨٦٣)، والحاكم (١/ ٢٠٤، ٥٨٢) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [سُورَةُ النَّاسِ]، «الوسواس الخنَّاس» هذه صفة الشَّيطان: «الوسواس الخنَّاس».

يقول ابن عبَّاس رضي الله عنهما في معنى هاتين الكلمَتَين، قال: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ الله خَنَسَ»[1].

إذا ذكر العبدُ ربَّه خَنَسَ الشَّيطان وتصاغر وأصبح كالذُّبابة، ولا يبقى عند الذَّاكر، بل ينفُر منه؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إِذا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ**»[2]، لا يطيق سماعَ ذكرِ الله ـ جلَّ وعلا ـ، بل يُؤذيه الذِّكر ويُنفِّره،

(١) أخرجه الطَّبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٥٤) ـ طبع دار هجر.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويبتَعد تمامًا من المكان الَّذي فيه ذكر الله ـ جلَّ وعلا ـ.

فالذَّاكر في حِصْنٍ حَصِينٍ وحرزٍ مكينٍ يحميه ـ بإذن الله تبارك وتعالى ـ من الشَّيطان الرَّجيم.

أمَّا إذا غفل؛ توالت عليه الشَّياطين ودفعتُه للباطل وأزَّته للمعصية أزًّا، كما تقدَّم معنا: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [سُورَةُ الزُّخْرُفِ]، أي ملازمٌ لا ينفكُّ عنه.

ومفهومُ المخالَفة للآية: أنَّه إذا ذَكَر الله ـ جلَّ وعلا ـ ابتعد منه الشَّيطان، فالذِّكر حصنٌ من الشَّيطان الرَّجيم، ولهذا أحْسَنَ صُنعًا مَنْ سمَّى كتابه في الذِّكر من أهل العلم «الحِصن الحصين»، أو «حِصن المسلم»، أو نحو ذلك.

وهذا اسمٌ صادقٌ على مسمَّاه، فالذِّكر هو الحصن الحصين، وهو حِصْنُ المسلم، وهو الحِرْزُ الَّذي يُحفظ به المسلم ـ بإذن الله تبارك وتعالى ـ، ولا يجد الشَّيطان سبيلًا إلى من كان ذاكرًا لله ـ جلَّ وعلا ـ في الأوقاتِ كلِّها وفي كلِّ شيء.

إذا ذكرتَ الله عَزَّوَجَلَّ على الطَّعام ابتعد الشَّيطان، وإذا ذكرتَه عند دخولك إلى البيت ابتعد الشَّيطانُ، وهكذا في كلِّ أمرٍ تذكر الله ـ جلَّ وعلا ـ عليه لا يكون للشَّيطان إليك فيه سبيلٌ، وتكون في حفظٍ من وساوس الشَّيطان، وكيده وشروره، وهَمزِه ونَفخِه ونَفثِه، فهذه فائدة عظيمة وجليلة من فوائد الذِّكر.

❋ ❋ ❋

❋ ومن فوائد الذِّكر أنَّه ـ كما أخبر الله ـ سبب طُمأنينة القلب، قال جلَّ وعلا: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [سُورَةُ الرَّعۡدِ]، فطُمأنينة القلب هو راحته وسُكونه وأُنسه وذهابُ قَلقِه وتوتُّره وتضجُّره وأنواع الأذى الَّتي قد تلحقُ به، والذَّاكرون الله ـ جلَّ وعلا ـ كثيرًا هم أهلُ القلوب المُطمئنَّة، وهم أهلُ القلوب السَّعيدة، وهم أهلُ القلوب الَّتي مُلِئَت بالأنس والرَّاحة في أحوالهم كلِّها، ليس

في حال الرَّخاء والسَّعادة فحسب، وإنَّما في أحوالهم كلِّها، تجده مطمئنَّ القلبِ في عُسْرِه ويُسره، وشدَّته ورخائه، وغِناه وفقره، وصِحَّته ومرضِه، لا ينتابُه القلق، ولا يدخلُه التَّوتُّر، ولا يحصل له الضَّجر والتَّبرُّم، وإنَّما تجده مطمئنًّا وساكنًا ومرتاحًا في أحواله كلِّها؛ ولهذا قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ متعجِّبًا: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[1]، هكذا قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ.

فالمؤمن في طُمأنينة مستمرَّة، مطمئنَّ القلب، مرتاحَ البال، منشرحَ الصَّدر، مليئًا بالأنس، وهذا كلُّه إنَّما حصل له بمُوالاته لذكر الله ـ جلَّ وعلا ـ واستمراره على ذلك؛ فتحصل له الطُّمأنينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ]، تطمئنُّ قلوبُهم بذكر الله لا بذكر أمرٍ آخر، وإنَّما يذكرون الله ـ جلَّ وعلا ـ في أحوالهم كلِّها: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عِمْرَان: ١٩١]، يعني في أحوالهم كلِّها؛ في الحضَر والسَّفر، جلوسًا وقيامًا وسائرين، وفي أمورهم كلِّها يذكرون الله ـ جلَّ وعلا ـ، وبهذا الذِّكر تحصُل لهم طُمأنينة القلب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ].

❊ ❊ ❊

❊ ومن فوائد الذِّكر: أنَّه يُذهب قَسوة القَلب، فالقلبُ يقسو بسبب الذُّنوب والتَّفريط في طاعة الله ـ جلَّ وعلا ـ ونحو ذلك، وليس هناك شيء يُذيبُ قسوةَ القلب مثل ذكر الله ـ جلَّ وعلا ـ، وليس هناك شيءٌ يجلب القسوة للقلب مثل الغفلة عن ذكر الله ـ جلَّ وعلا ـ، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟

﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ].

قسوة القلب سببُها ـ كما يدلُّ عليه سياق الآية الكريمة ـ: هو طول الأمَد بالبُعد عن الذِّكر وعن القيام بأمر الله ـ تبارك وتعالى ـ، فإذا حصَل هذا البُعد؛ حصلت القسوةُ، ولا تزول إلَّا بالعودة إلى ذكر الله، والرُّجوع إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ، ولهذا قال في الآية الَّتي تليها: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ].

﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ أي فكما أنَّه ـ سبحانه وتعالى ـ يُحيي الأرضَ بعد موتها بالماء والمطر؛ فإنَّه يُحيي ـ تبارك وتعالى ـ القلوبَ الميِّتة بالوحي والذِّكر لله ـ جلَّ وعلا ـ، فإذا ذكَر الإنسانُ ربَّه حَيِي قلبُه، وذهبتْ عنه القسوةُ.

ولهذا يُؤثَر أنَّ رجلًا أتى إلى الإمام الحسَن البصري رَحِمَهُ اللهُ وقال له: يا أبا سعيد! أشكو إليك قسوةَ قلبي؟! قال: «أَذِبْهُ

بذكر الله»[1]، يعني أَذِبْ هذه القسوةَ الَّتي في قلبك بذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ، فذكرُ الله يُذهب القسوةَ الَّتي قد تقع في القلب، ويَلين القلب ويسكنُ ويطمئنُّ، كما سبق بيان ذلك.

* * *

* ثمَّ من فوائد الذِّكر أيضًا: أنَّه يُكسب العبد فائدةً عظيمةً وثمرةً جليلةً ومنزلةً رفيعةً، وهي أنَّه إذا ذكر اللهَ؛ ذَكَرَهُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل.

واللهُ تعالى يقول: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن]، فمن ذَكَرَ اللهَ ذَكَرَهُ الله، ومن نَسِيَ اللهَ نسيَه اللهُ، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [النبأ]، ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ [الروم: ١٠].

فالجزاءُ مِنْ جنس العمل، مَنْ يَذْكُرِ الله؛ يَذْكُرْهُ اللهُ، قال

---

(١) انظر: «الوابل الصَّيِّب» (١٤٢).

تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وفي الحديث يقول رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربِّه تبارك وتعالى: «..**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي؛ وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»(١)، وأيُّ ثوابٍ أعظم؟! وأيُّ منزلةٍ أجلُّ وأرفع؟! مِنْ أنْ تنال ذكرَ الله ـ تبارك وتعالى ـ لكَ في الملأ الأعلى، يَذْكُرُك ـ سبحانه وتعالى ـ وهو غنيٌّ عنكَ، وأنتَ تذكرُه وأنتَ محتاجٌ إليه، مفتقرٌ إليه.

يذكرُك ـ سبحانه وتعالى ـ في الملأ الأعلى، وهو لا ينتفِع بذكرك له، فذِكْرُك له ـ سبحانه ـ لا يزيد مُلكَه، وتركُكَ لذكره ـ سبحانه ـ لا يُنقِص مُلكَه، ولهذا قال ـ تبارك وتعالى ـ في الحديث القدسي: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شَيْئًا؛ يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا»[1].

فهو ـ تبارك وتعالى ـ لا تنفَعُه طاعةُ الطَّائعين، ولا تضرُّه معصية العاصين، ولا يزيد في ملكِه ذكرُ الذَّاكرين، ولا يُنقِص من ملكِه غفلةُ الغافلين؛ لكنَّه لُطفًا منه ـ تبارك وتعالى ـ بعباده وإحسانًا؛ يَذْكُرُ مَنْ ذَكَرَهُ في الملأ الأعلى، مَنْ ذكَرَ الله في نفسِه؛ ذكَرَهُ الله في نفسِه، ومنْ ذكَرَ الله في ملإٍ؛ ذكَرَه الله في ملإٍ خيْرٍ منْهُ.

جاء في «صحيح مسلم»[2] عن معاوية رضي الله عنه قال: «إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَقَالَ: **مَا أَجْلَسَكُمْ؟** قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا؛ قَالَ: **آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (٢٧٠١).

قَالُوا: وَاللهِ؛ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: **أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ المَلَائِكَةَ**»، يُباهي الملائكة بالذَّاكرين، يقول: انظروا إلى عبادي، اجتمَعوا لِذِكري، واجتمَعوا على شُكري، واجتمَعوا على حَمدي، يباهي بهم الملائكةَ.

ولهذا في الحديث الآخر في «صحيح مسلم»[1] قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**».

فهذه منزلةٌ رفيعةٌ، ودرجةٌ عاليةٌ مُنيفةٌ؛ ينالها الذَّاكر لله ـ تبارك وتعالى ـ؛ وهو أنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يذكُره.

ولأنَّ النُّفوس تعلُّقها بالدُّنيا أكثر وميلُها إليها أعظم؛

---

(١) برقم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فإنَّ الواحدَ من النَّاس إذا قيلَ له: إذا فعلتَ الفعلَ الفلاني أو قمتَ بالعملِ الفلانيِّ؛ فإنَّ الأمير الفلاني سيذكُرك بكذا أو الرَّئيس الفلاني سيذكُرك بكذا، وسيمدَحُك عند المسؤولين تجده ينشط ويتحرَّك، لكن ذِكْر الله الَّذي نَنَالُ به ذِكْرَ الله لنا؛ نضعُف ولا ننشط للقيام به! وهذا من تفريطِنا وتقصِيرنا وتضييعنا وإهمالِنا وعدمِ إعطائِنا لهذا الأمرِ حقَّه من العنايةِ والاهتمامِ.

* * *

* ومن فوائد الذِّكر ـ وهو تابعٌ لما قبلَه ـ: أنَّ الذَّاكر ينالُ بذكرِه لله صلاةَ الله وملائكتِه عليه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة الأحزاب]، فهذه فائدةٌ من فوائد الذِّكر، وهو أنَّ الذَّاكر ينالُ صلاةَ الله عليه وصلاةَ الملائكة.

أمَّا صلاةُ الله عليه؛ فهي ثناؤُه عليه في الملأ الأعلى ـ كما تقدَّم ـ.

وأمَّا صلاةُ الملائكة عليه؛ فبدُعائهم له، وكلَّما عظُم إيمانُ الشَّخص وزاد ذكرُه لله وقَوي تمسُّكه بالخَير زاد بذلك دُعاؤهم له، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [سُورَةُ غَافِر]، هذا دعاءٌ طويلٌ وعظيمٌ ومباركٌ من الملائكة للمؤمنين الذَّاكرين لله، المُطيعين لله، المُمتثلين لأوامِر الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

وهاهنا ـ أيُّها الموفَّق! ـ سؤالٌ قد يخطُر على البال، وهو: مَا الَّذي عطَف هؤلاء الملائكة على المؤمنين وصاروا بهذه

المنزلة ـ وهي الاستمرَار والمداوَمة على الدُّعاء للمؤمنين ـ مع أنَّ جنس الملائكةِ مختلفٌ عن جنسِ البَشر؟! جِنْسُ الملائكة جنسٌ آخر، الملائكة خُلِقوا من نور، والبشرُ خُلِقوا من طين، فالجنسُ مختلفٌ، ومع ذلك عطَف الله ـ تبارك وتعالى ـ الملائكةَ على المؤمنين، سببُ ذلك وجود رابطةٍ وثيقةٍ بين المؤمنين وبين الملائكة، وهي الإيمانُ بالله ـ تبارك وتعالى ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾، هذه هي الرَّابطة: التَّسبيحُ بحَمد الله والإيمانُ به عزَّ وجلَّ، فكلَّما عَظُمَ ذكرُ الإنسان لله وعظُمَ حمدُه وعظُمَ إيمانُه؛ زاد دعاءُ الملائكة له واستغفارُهم له وسؤالهُم اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ له بالتَّوفيق والسَّداد والجنَّة والنَّجاة من النَّار وغير ذلك من الأمور الَّتي ذُكرت في الآية الكريمة.

* * *

* ومن فوائد الذِّكر أنَّه سبب لحفظ اللِّسان:

يقول العلماء: إنَّ اللِّسان إنَّما خُلِقَ للكلام، فإذا لم يتكلَّم المسلمُ بخير ـ وأعظم الخير ذكرُ الله ـ تكلَّم بالشرِّ والفسَاد، ولهذا من يَبَسَ ـ والعياذ بالله ـ لسانُه عن ذكر الله؛ انطلَق في كلِّ فساد؛ في الغِيبة، والنَّميمة، والسُّخريَة، والاستهزاء، والكذب والفُحش ونحو ذلك، فإذا يبَس اللِّسان عن الذِّكر؛ انطلق في الباطل، وإذا اشتَغل بالذِّكر؛ ذهبَ عنه الباطل، ولهذا ما حُفظ اللِّسانُ، ولا حصَلت له صيانةٌ بمثل المُحافظة على ذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ.

فذِكر الله ـ جلَّ علا ـ يصونُ لسانَ المرء ويحفظُه منَ الوقوع في الغِيبة، والنَّميمة، والسُّخرية، والاستهزاء، ونحو ذلك.

فهذه فائدة عظيمة من فوائد ذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ.

* * *

* ومن فوائد الذِّكر: أنَّه علامةٌ على عِظَمِ حبِّ الذَّاكر لله ـ تبارك وتعالى ـ، قال بعض أهل العلم: علامةُ حبِّ الله كثرةُ ذكره؛ فإنَّك لا تُحبُّ شيئًا إلَّا أكثرت ذكره.

* * *

فهذه بعض الفوائد والثَّمرات العظيمة الَّتي ينالها المؤمن بذكره لله ـ تبارك وتعالى ـ.

وعندما تقرأ ـ أيُّها الموفَّق ـ كتابَ «الوابل الصيِّب» ستجد أنَّني قصَّرت تقصيرًا بالغًا، وأخللتُ إخلالًا شديدًا في عدِّ فوائد الذِّكر، وأنَّ ما ذكرتُه هو نزرٌ وقليلٌ ويسيرٌ من فوائد عظيمةٍ كثيرةٍ متعدِّدةٍ، أَحْسَنَ بَسْطَهَا وأجاد بيانها العلَّامة ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ.

ولهذا عودًا على بدء؛ أُأَكِّد على اقتناءِ هذا الكتاب والاستفادةِ منه، وأن يكونَ متداولًا في البيوت، وأن يُحثَّ الأولادُ والنِّساءُ والبناتُ والأقاربُ على قراءته؛ ليُحصِّلوا

بذلك الخيرَ العظيم والأجرَ الجزيل والحفظَ والصِّيانةَ، وغير ذلك من الفوائد الَّتي سبق الإشارة إلى بعضها وقليلٍ منها.

وفي الختام أُورد أبياتًا قليلةً للعلَّامة عبد الرَّحمن ابن ناصر السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي أبياتٌ قليلة وجميلة، جمع فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوائد الذِّكر جمعًا بليغًا للغاية، على وجازة الأبيات، فقال:

فـذِكرُ إلـهِ العَـرشِ سرًّا ومعلنًـا ... يزيلُ الشَّقى والهـمَّ عنـكَ ويطـردُ
ويجلـبُ للخـيراتِ دنيـا وآجـلاً ... وإن يأتِكَ الوسـواسُ يومًـا يُـشرِّدُ
فقَد أخبرَ المختـارُ يومًـا لـصحبِه ... بـأنَّ كثـيرَ الـذِّكر في الـسَّبقِ مُفـردُ
ووصَّى معــاذًا يــستعينُ إلهــهُ ... على ذكرِه والـشُّكرِ بالحُسن يعبـدُ
وأوصى لشخصٍ قـد أتـى لنصيحةٍ ... وقد كان في حمـلِ الـشَّرائع يجهـدُ
بأن لا يزال رطبًـا لـسانُك هـذه ... تُعين على كـلِّ الأمـور وتُـسعدُ
وأخبر أنَّ الذِّكر غرسٌ لأهلِه ... بجنَّات عدنٍ والمساكنُ تمهد
وأخـبر أنَّ الله يَـذكُر عبـدَهُ ... ومعه على كلِّ الأمُور يُـسدِّد

وأخبر أنَّ الذِّكر يبقى بجنَّـةٍ ... وينقطعُ التَّكليفُ حين يُخلَّدُ
ولو لم يكن في ذكرِه غير أنَّـه ... طريـقٌ إلى حـبِّ الإلـهِ ومرشـدُ
وينهى الفتَى عـن غيبـةٍ ونميمـةٍ ... وعن كلِّ قولٍ للدِّيانة مفسدُ
لكان لنـا حـظٌّ عظـيمٌ ورغبـةٌ ... بكثرةِ ذكرِ الله نِعْـمَ المُوحَّـدُ
ولكنَّا من جهلِنا قلَّ ذكرُنـا ... كـما قَـلَّ منَّـا للإلـه التَّعبُّـدُ

فرحمه الله، وجزاه خير الجزاء على هذه الأبيات العظيمة النَّافعة المُشتملة على بيان فوائد الذِّكر.

ومن أراد أن يقفَ على شرحِها وبسطِها وبيانِها؛ فليقرأ كتاب ابن القيِّم «الوابل الصَّيِّب»؛ لأنَّ «الوابل الصَّيِّب» مشتملٌ على بَسط الفَوائد وعدِّها وبيانِها بأحسن ما يكون، مع بسطٍ للأدلَّة وإيضاحٍ لها.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجزيَ أهلَ العلم عنَّا خير الجزاء، وأن ينفعَنا بما علَّمنا، ونسأله ـ تبارك وتعالى ـ أن يعينَنا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يعيذنا من الإعراض والغفلة،

وأن يجعلنا هداةً مهتدين، غير ضالِّين ولا مضلِّين.

اللَّهمَّ أصلح لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا من كلِّ خير، والموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفِهرس